GENÇ MÜTEFEKKİRLER DERGİSİ
JOURNAL OF YOUNG INTELLECTUALS

e-ISSN: 2718-000X

Yıl/Year: 6, Cilt/ Ek Sayı/Additional Issue: 1

Ekim/October-2025

التمثّل السياسي في روايات فاضل العزاوي – دراسة تحليلية

Fazıl el-Azzavi'nin Romanlarında Siyasal Temsiliyet – Analitik Bir İnceleme

Political Representation in the Novels of Fadhil Al-Azzawi – An Analytical Study

Shireen Satar Hamadamin

M.M, Koya Üniversitesi- Eğitim Fakültesi -Arap Dili Bölümü-Uzmanlık: Modern Arap Edebiyatı
M.M, University of Koya -College of Education- Department of Arabic Language-Specialization: Modern Arabic Literature
Erbil/IRAK

Shireen.satar@koyauniversity.org

https://orcid.org/0009-0003-9319-7286

Atıf / Citation: Shireen Satar Hamadamin , "Fazıl el-Azzavi'nin Romanlarında Siyasal Temsiliyet – Analitik Bir İnceleme", *Genç Mütefekkirler Dergisi*, 1, (Ekim-2025), 320-346.

http://doi.org/10.5281/zenodo.17481431

Yayın Bilgisi/Publication Information
Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi
Geliş Tarihi/Date Received: 13.06.2025
Kabul Tarihi/Date Accepted:11.10.2025
Sayfa Aralığı/ Page Range: 320-346

İntihal: Bu makale, intihal.net yazılımınca taranmıştır. İntihal tespit edilmemiştir.
Plagiarism: This article has been scanned by intihal.net. No plagiarism detected.
Yayıncı / Published by: Nihat DEMİRKOL / TÜRKİYE

CC BY NC ND

ÖZET

Roman, gerçek ile hayali birleştirme konusundaki eşsiz yeteneğiyle öne çıkmıştır; bu da onu en yaygın ve etkili edebi türlerden biri hâline getirmiştir. Roman yalnızca gerçekliği yansıtmakla kalmaz, onun derinliklerine de iner ve onu, belgeleme ile kurguyu harmanlayan sanatsal bir bakış açısıyla yeniden üretmeye çalışır. Bu bağlamda roman, özellikle zorlayıcı koşullar, baskıcı rejimler ve ani siyasi dönüşümler ışığında, siyasi, sosyal ve dini gerçekliği ifade etmede etkili bir araç hâline gelmiştir. Bu çalışma, Fadıl el-Azzavi'nin romanlarında siyasal temsiliyetin boyutlarını analiz etmeyi amaçlamaktadır. Araştırmada, yazarın siyasi gerçekliği sorgulamak için kullandığı anlatı teknikleri incelenerek, birey ile iktidar arasındaki ilişki ve bireyin Irak'taki toplumsal ve siyasal dönüşümlerden nasıl etkilendiği ortaya konulmaktadır. Ayrıca çalışma, bu dönüşümler karşısında bireyin yaşadığı içsel çelişkileri açığa çıkarmayı, acı dolu gerçeklikten kaçış düşüncesini ise tarihsel ve siyasal duruşların bir yansıması, aynı zamanda bireyin baskı ve otoriterlik karşısındaki trajedisinin bir ifadesi olarak yorumlamayı hedeflemektedir. Bu çalışma, el-Azzavi'nin romanlarını çözümleyici bir okumayla ele alarak, romanı siyasal bilincin ifadesi olarak ortaya koymayı ve iktidar, toplum ve insan gibi temel meselelere dair sorular sormanın bir aracı olarak değerlendirmeyi amaçlamaktadır. Bu doğrultuda, araştırma; el-Azzavi'nin metinlerinde siyasal boyutun nasıl tezahür ettiğini analiz etmeyi, yazarın iletmek istediği düşünce ve tutumları belirlemeyi, ayrıca edebi ve fikrî mesajını aktarmada başvurduğu sanatsal anlatım tekniklerini ortaya çıkarmayı hedeflemektedir. El-Azzavi'nin metinleri, hem bireysel kimliğinin hem de toplumsal gerçekliğin aynası olarak değerlendirilmektedir.

Anahtar Kelimeler: Fadıl El-Azzavi, Siyasal Temsiliyet, Iktidar, Irak Romanı, Baskı, Siyasal Kurg

ABSTRACT

The novel has stood out for its unique ability to combine the real and the imaginary; this has made it one of the most widespread and influential literary genres. The novel not only reflects reality, but also delves into its depths, seeking to reproduce it from an artistic perspective that blends documentation and fiction. In this context, the novel has become an effective tool for expressing political, social and religious reality, especially in the light of challenging conditions, oppressive regimes and sudden political transformations. This study aims to analyze the dimensions of political representation in Fadil al-Azzawi's novels. In the research, the narrative techniques used by the author to question political reality are examined, and the relationship between the individual and the government and how the individual is affected by the social and political transformations in Iraq are revealed. In addition, the study aims to reveal the internal contradictions experienced by the individual in the face of these transformations, and to interpret the idea of escaping from painful reality as a reflection of historical and political stances, as well as an expression of the individual's tragedy in the face of oppression and authoritarianism. This study aims to present the novel as an expression of political consciousness and to evaluate it as a means of asking questions about basic issues such as power, society and human beings by considering al-Azzawi's novels with an analytical reading. In this direction, the research; It aims to analyze how the political dimension manifests in al-Azzawi's texts, to determine the thoughts and attitudes that the author wants to convey, and to reveal the artistic expression techniques he uses to convey his literary and intellectual message. Al-Azzavi's texts are considered as a mirror of both individual identity and social reality.

Keywords: Fadhel Al-Azzawi, Political Representation, Power, Iraqi Novel, Oppression, Political Imagination.

الملخص

برزت الرواية بقدرتها الفريدة على الجمع بين الحقيقي والخيالي. وقد جعلها هذه واحدة من أكثر الأنواع الأدبية انتشارا وتأثيرا. لا تعكس الرواية الواقع فحسب، بل تتعمق أيضا في أعماقه، وتسعى إلى إعادة إنتاجه من منظور فني يمزج بين التوثيق والخيال. وفي هذا السياق، أصبحت الرواية أداة فعالة للتعبير عن الواقع السياسي والاجتماعي والديني، خاصة في ظل الظروف الصعبة والأنظمة القمعية والتحولات السياسية المفاجئة. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أبعاد التمثيل السياسي في روايات فاضل العزاوي. في البحث، يتم فحص التقنيات السردية التي يستخدمها المؤلف للتشكيك في الواقع السياسي، ويتم الكشف عن العلاقة بين الفرد والحكومة وكيف يتأثر الفرد بالتحولات الاجتماعية والسياسية في العراق. بالإضافة إلى ذلك، تهدف الدراسة إلى الكشف عن التناقضات الداخلية التي يعاني منها الفرد في مواجهة هذه التحولات، وتفسير فكرة الهروب من الواقع المؤلم على أنها انعكاس للمواقف التاريخية والسياسية، وتعبيرا عن مأساة الفرد في مواجهة الاضطهاد والاستبداد. تهدف هذه الدراسة إلى تقديم الرواية كتعبير عن الوعي السياسي وتقييمها كوسيلة لطرح الأسئلة حول قضايا أساسية مثل السلطة والمجتمع والإنسان من خلال النظر في روايات العزاوي بقراءة تحليلية. في هذا الاتجاه ، البحث. ويهدف إلى تحليل كيفية تجلي البعد السياسي في نصوص العزاوي، وتحديد الأفكار والمواقف التي يريد المؤلف نقلها، والكشف عن تقنيات التعبير الفني التي يستخدمها لنقل رسالته الأدبية والفكرية. تعتبر نصوص العزاوي مرآة لكل من الهوية الفردية والواقع الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: فاضل العزاوي، التمثّل السياسي، السلطة، الرواية العراقية، القمع، التخييل السياسي.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، الرّحمن الرّحيم، الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسانٍ عربيٍّ مبين، وجعله رحمةً وهُدىً لعباده، والصلاة والسلام على خير الخلق، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

لا يمكن فصل الأدب عن الواقع، خاصة في المجتمعات التي عايشت تحوّلات سياسية حادة، وعرفت أشكالًا متعدّدة من القمع والاستبداد. ففي مثل هذه البيئات، لا يبقى الأدب مجرد وسيلة للتعبير الجمالي، بل يتحوّل إلى صوتٍ مقاوم، وأداةٍ لكشف المسكوت عنه، ومنبرٍ يعيد طرح الأسئلة الكبرى المرتبطة بالحرية، والسلطة، والهوية.

ومن بين الأصوات الروائية البارزة التي عبّرت بصدق وعمق عن هذا التوتر بين الفرد والمنظومة السلطوية، يبرز اسم الروائي العراقي فاضل العزاوي، الذي اتّسم مشروعه الإبداعي بتداخلٍ واضح بين تجربته الأدبية والفكرية والسياسية، فجاءت رواياته مشحونة بالرموز، مشبعة بالسخرية، ومفعمة بصور القمع والاغتراب. وقد استطاع أن يصوغ من واقعه العراقي المضطرب، منذ منتصف القرن العشرين، مرآةً فنيةً تعكس تناقضات السلطة واستلاب الإنسان، مستندًا إلى أساليب سردية تتنوع بين الواقعية، والغرائبية، والسريالية.

في هذا السياق، يسعى هذا البحث إلى دراسة التمثلات السياسية في روايات فاضل العزاوي، من خلال تحليل الموضوعات التي تناولها، والرموز التي وظّفها، والشخصيات التي ابتكرها لتجسيد واقع مأزوم تحت وطأة السلطة الشمولية. كما يهدف إلى الكشف عن كيفيّة تحوّل الرواية في أدبه من مجرّد سردٍ فني إلى وثيقة رمزية تفضح بنية الاستبداد وتمنح الكلمة للذات المسلوبة.

يتألف البحث من مدخل تمهيدي ومحور رئيس، إذ نتناول في المدخل التمهيدي السيرة الأدبية لفاضل العزاوي، ومفهوم التمثّل السياسي، ومفهوم السجن بوصفه تمثيلًا سياسيًا حيًّا. أما في المحور الرئيس، فنرصد أثر السياسة في رواياته، ونحلّل صورة السجن وتداعياته على شخصيات المجتمع عمومًا، وشخصيات الرواية خصوصًا، ثم نختم البحث بأهم النتائج التي توصّلت إليها الباحثة، وقائمة المصادر والمراجع ومن الله التوفيق .

المدخل:

حضور الواقع في روايات فاضل العزاوي، كان واضحاً في نصوصهِ الروائية، فالتمس الروائي في رواياته، حضور صورة الواقع الغائبة أو تصورها، أو تشبيه صورة بأخرى، أو تخيلها، بما إن الروائي يُضيف دائماً من خيالهِ، بما يُناسب موضوعات رواياتهِ، فأراد تصوير الواقع والتعبير عنهُ من الناحية الإجتماعية، وأصل كلمة "التمثل " مناظَرة الشّيء للشيء، وهذا مِثْل هذا، أي نظيرُه، [1] ومن جملة التمثُّلات التي يبدو أثرها واضحاً في هذا

(1) ابن فارس، لأبي الحسين بن زكريا، معجم مقايس اللغة (بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م)، ص 938.

البحث و هي التمثّلات السياسية، العلاقة بين الواقع والسياسة هي علاقة متلازمة، لطالما دافع الأديب عن حقوق مجتمعهِ، وحث مجتمعه على رفع كلمة الحق بوجه الظلم والاستبداد، فالطبيعي أن يكون لكل فرد في مجتمعهِ وجهة نظر تجاه السياسية القائمة في بلدهِ، فكان للروائي دور في إظهار السياسة المتبعة في بلادهِ، سنتطرق إلى السيرة الشخصية للروائي فاضل العزاوي و بيان مفهوم التمثّل السياسي و والتوظيف مفردة السجن في رواياته فاستخدم الروائي التمثل السياسي كنهج يرى من خلالهِ اعتقادات الناس من خلال حياتهم اليومية.

1. **المبحث الأول : السيرة الأدبية للروائي فاضل العزاوي.**

أديب وشاعر عراقي كبير؛ وُلد في كركوك، تَخرج من جامعة بغداد مجازاً في الأدب الانكليزي، ودرس الصحافة والعلوم السياسية في جامعة لايبزج وحازعلى درجة الدكتوراه عن أطروحة حول الثقافة العربية وعمل في الصحافة العراقية والعربية وأصدر مجلة "الشعر69"[2]. والعنصر المهم في فهم تجربة الشاعر يتمثل في تربيته الاجتماعية والثقافية والمؤثرات الفكرية والسياسية والأدبية التي شكلت وعيه الشعري والأدبي والثقافي، فالعزاوي من مواليد مدينة كركوك عام 1940، وهي مدينة عراقية عرفت باحترامها للتنوع اللغوي والديني وانفتاحها على الآخر، وتأثرها بوجود شركات النفط الأجنبية التي ساهمت في إشاعة اللغة الإنكليزية، لذلك تربى في مثل هذا الجو القائم على الإيمان بقيم التسامح واحترام الثقافات الأخرى التي أصبحت جزءاً من ثقافته ووعيه.[3].وكانت مدينة كركوك ،ومنذ القدم موطناً لكل القوميات والإثنيات والاعراق، إذ نجد في تاريخ المدينة مزيجا من القوميات المتأخية من الكرد والتركمان والعرب والمسيحيين قد شكلوا خليطا من صورة فسيفسائية جميلة تختلط فيها الأعراق لتولد كركوك المتآخية، حيث إرث الأجداد في التعايش والتزاوج والإندماج الإجتماعي[4].

بدأ العزاوي نشاطه الأدبي في الستينيات مؤسساً جماعة كركوك مع سركون بولص ومؤيد الراوي وصلاح فائق، وهو أديب كامل حرّ منذ أن كتب بيانه الشعري الأول عن "كونه المهجور" في عام 1969 من أجل حرية العمل الفني ومن أجل تحرير الشاعر والقصيدة ناقداً كل وثنية سياسية وفكرية. سُجن ثلاث سنوات ثم نُفي، فوجد في منفاه أوطاناً بديلة وفُتحت لغات العالم على شعره ورواياته فترجمت إلى أكثر من عشرين لغة وحاز على التقدير من أهم الأدباء العالميين ونال العديد من الجوائز والشهادات الفخرية. ملأ فاضل العزاوي "الكون المهجور" بإنسانية مكافحة متمردة في هذا العالم، هدفه تحرير الفكر والعاطفة من سطوة الأكذوبة الكبيرة التي تملأ هذا الكون و"إعادة الاعتبار للحرية كمصدر لكل إبداع في التاريخ". [5].

(2) العزاوي، فاضل العزاوي، الرائي في العتمة (بيروت – لبنان، منشورات الجمل، ط1، 2016م)، ص4.
(3) ثامر، فاضل ثامر، رهانات شعراء الحداثة (العراق- منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتّاب، ط1، 2019م)، 52.
(4) أسود، نوزاد احمد، المدينة في قصص جليل القيسي، قراءة سايكو– سوسيولوجية (السليمانية- شهادة ماجستير، جامعة السليمانية، 2008م)، ص 103.
(5) ينظر: موقع الألكتروني، https://diffah.alaraby.co.uk

وأمّا الإنتقال بالكتابة من الانطباع إلى الموقف هو الذي جعل النص الجديد يختلف عن النص القديم بشكله كما برؤياه، ولابد من معرفة ان التجريبية التي قام عليها النص الستيني كانت التجلي الإبداعي الوحيد الممكن للروح الحية، وفي الواقع ما من كتابة حديثة من دون تجريبية، فالنص الجيد هو النص الذي ينتهك القواعد الثابتة، لأن العزاوي حاول تحقيق حلم تغيير الواقع من خلال منحى تدميري شامل، وبطريقة ذاتية، بعيداً عن الاعتراف بقوانين التغيير الاجتماعي والحداثة الستينية كانت تقوم على أساس الانشقاق على الواقع والمجتمع ومحاولة تدميره أو نسفه لبناء عالم جديد أقرب إلى مصطلح الحداثوية التي تتماهى مع منظور رؤيوي وفلسفي معين.[6] نشر أكثر من عشرين مجموعة شعرية وروائية وكتاباً نقدياً، فضلاً عن الكتب التي ترجمت إلى اللغات الإنكليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والسويدية والنرويجية والهولندية والتركية والفارسية، والكردية والإندونيسية والهندية. غادر العراق في مطلع (1977) ويعيش منذ العام (1983) في برلين ككاتب متفرغ ينشر أعماله بالعربية والإنكليزية والألمانية. [7] أثرت روح الستينات كعقد متميز في تطور الوعي بزمننا، زاخر بالأحداث، ليس على المستويين العراقي والعربي فحسب وانما على المستوى العالمي أيضاً، بطرق مختلفة، على الكتاب والفنانين الجدد وتركت تأثيراتها على نمط كتاباتهم وإبداعاتهم التي تنتمي إلى اتجاهات جمالية مختلفة، تعكس هوى كتابها قبل كل شيء، لقد امتلكت الحركة الستينية العراقية فرصتها لتقدم نفسها ثقافياً وأدبياً ضمن الكثير من التباسات التطور في مجتمع مثل المجتمع العراقي 1963[8].

ان حياة الأديب الشخصية، معين لاينضب، يستمد منها صاحبها مادة لتجربته الأبداعية لأنه أقرب الناس اليها وأقدرهم على معرفة دقائقها وابعادها ولاتصلح كل أحداث الأديب ؛لأن تكون تجارب غنية الاّ إذا كان لها في نفسه ومشاعره وعواطفه حالات فاعلة ومؤثرة، وكانت إمكاناته الفنية قادرة على إحالة هذه الأحداث إلى عمل إبداعي يجسد تجربة خلاقة توضع في عداد التجارب الإنسانية.

واجه الروائي، كما قال عنهُ فاضل ثامر؛ في معظم روايات فاضل العزاوي، ابتداءً من روايات "مخلوقات جميلة " و"القلعة الخامسة " وانتهاءً " آخر الملائكة " سلطة القمع الخارجي الزمنية بالفنتازيا الغرائبية ومحاولة أسطرة الواقع، فالواقع اليومي يجرد من مألوفيته ويتخذ مستوى تخييلياً وغرائبياً وتنزع في الغالب، منه أرضيته التأريخية والواقعية من أجل التحرك داخل فضاء زمني متحرك، أو بالأحرى فضاء لا زمني، لأنهُ اشتبك بوعي سياسي صريح في رواية "القلعة الخامسة " وانتقل إلى أسطرة الواقع وتغريبه في "آخر الملائكة " حيث الحرية المرنة داخل الزمان والمكان في فضاء لامنتاهِ يعيد فيه سفر التكوين بطريقة غرائبية جديدة.

(6) ثامر، رهانات شعراء الحداثة ، ص 59.
(7) العزاوي، الرائي في العتمة، ص4.
(8)العزاوي، فاضل العزاوي، الروح الحية جيل الستينات في العراق (العراق- المدى، ط1، 1997م)، ص11.

ومن مؤلفاته :

أولاً: رواياته

1. مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة 1969

2. القلعة الخامسة 1972

3. مدينة من رماد 1989

4. آخر الملائكة 1992

5-كوميديا الأشباح 1996

ثانياً: مجموعاتهِ الشعرية

1. سلاماً أيتها الموجة، سلاماً أيها البحر 1974م.

1.1. مفهوم التمثل السياسي :

علاقة الأدب بالسياسة هي علاقة جدلية ومتواصلة طالما وجد الأديب نفسه داخل مجتمع معين، يعبر من خلالهِ عن دوره وحقوقه ومكانته ويبحث بشكل دائم عن حريته وإنسانيته. أصبح الروائي المعاصر الأن "مؤرخاً حقيقياً لكثير من أحداث الأمّة وقضاياها، من خلال شخصيات مأزومة فكريّاً، ومهمشة اجتماعياً، ومغتربة إنسانياً. وهذه الشخصيات، التي تعاني وتناضل من أجل نفي عذابات الذات وتحقيق اهداف المجتمع، فتوظيف السياسة في الرواية احتاج إلى توضيح أهم المبادئ النقدية التي ينبغي أنْ نتعامل بها مع هذا النوع الجديد من الرواية " [9] فصارت السياسة محوراً أساسياً في الرواية العربية بتعدد ابعادها الأجتماعية والواقعية، وأنّ السياسة كانت حاضرة دوماً في الفنون والاجناس الأدبية، فتجلت بشكل أساسي في فن الرواية، فعكست لنا أحداث المجتمع من الصراع الطبقي، ونقد السلطة، وصراع مع الذات كذلك، فالروائي يحاول أن تكون شخصياتهُ لها ارتباط مع الوقائع التاريخية، أي تكون ضمن سياق تأريخي. وكانت اللوحة السياسية في العراق منتصف الستينات متنوعة، تحمل آثرا من كل لون، أكسبها ذلك الغنى الثقافي الروحي، وكان سر ذلك يكمن في ضعف الدولة، والنزوع الذي يشكل الجوهر الفعلي لكل الدكتاتوريات، وفي مقابل انحسار النزوع التسلطي للدولة على المجتمع، وانحسار كامل في النزوع التسلطي للأحزاب والحركات السياسية لفرض وصايتها الايديولوجية على الناس، كانت الحياة نفسها فرضت هذا التطور الذي مكن الشعراء والكتّاب من العودة إلى أنفسهم والتفكير برؤوسهم بدل التفكير برؤوس الآخرين. [10]

(9) المنصوري، علي منصوري، البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة، ص 27؛ وادي، طة، الرواية السياسية (القاهرة – د.ط، 2002م)، ص.5

(10) العزاوي، ص161-162.

1.2. مفهوم السجن كتمثيل سياسي :

يُعد فضاء السجن في الأدب فضاءً مركزيًا بالغ القسوة، لا يُختزل في جدرانه الصلبة أو أبوابه الحديدية، بل يتجاوز بنيته المادية ليغدو أداة لهدم الذات وإعادة تشكيلها وفق شروط الإخضاع والعقاب. إنه فضاء ينزع عن الإنسان فردانيته، ويعيد تشكيل وعيه تحت ضغط العزلة والتقييد والمنع. فالسجن ليس مجرد مكان للعقوبة، بل هو منظومة صارمة من القواعد والممنوعات التي تُفرض على السجين، فتحوله من كائن اجتماعي فاعل إلى كائن خاضع، يميل إلى الانطواء والى انكفاء على ذاته.

وقد وصفه بعض النقاد، مثل صالح [11]، بأنه فضاء يُسهم في سحق الذات، وتعليم الجريمة، وإخضاع الفرد لمنظومة قيمية جديدة تنقله من الحياة في المجتمع إلى الوجود داخل "العالم الذاتي"، حيث تتبدل القيم وتتقوّض العادات، ويغدو السجين مثقلًا بالقيود والإلزامات. فمع ولوج الزنزانة، تنفتح أبواب العذاب النفسي والجسدي، وتبدأ رحلة طويلة من المعاناة، قد لا تنتهي بمجرد الإفراج، إذ تبقى آثار التجربة محفورة في الذاكرة والجسد، تطارد السجين حتى خارج أسوار السجن، وقد تستمر لسنوات، أو مدى الحياة.

إن هذا الفضاء المغلق، بكل ما يحمله من قسوة وتجريد، لا يعكس فقط قمع السلطة، بل يكشف عن هشاشة الإنسان في مواجهة القهر، وعن قدرته في الوقت ذاته على المقاومة والصمود وإعادة اكتشاف الذات. ولذلك، لم يكن السجن في الأدب مجرد خلفية للأحداث، بل فضاءً غنيًا بالدلالات، يُشكّل محورًا رئيسيًا لفهم العلاقة بين الفرد والسلطة، وبين الحرية والقيد، وبين الحياة والموت.

2. المبحث الثاني: الواقع السياسي وتأثيره في روايات فاضل العزاوي :

2.1. التوظيف التاريخي للوقائع السياسية :

ومن الروايات التي جسد فيها حقيقة واقعية عاشها الروائي كانت رواية (مدينة من رماد) فقد استوحى هذه الفكرة من واقعة حقيقية عندما اعتقل في سنة 1963 فأشارأنه عاش هذه التجربة بنفسهِ، وتعرض إلى نفس التعذيب التي يتعرض له المعتقلون يومياً في السجن [12].

فتدور رواية "مدينة من رماد" **حول معاون أمن يجد صديقاً قديما له معلقا من يديه داخل الزنزانة في الدائرة التي يعمل فيها. وهنا تتضح العلاقة ما بينهما حيث ترتطم براءة الماضي بقسوة الحاضر. وأنّ صمت الضحية يشعر الجلاد بالمهانة فيحاول الإنتصار على الضحية من خلال السطو على زوجته، لكنه يفشل في انتزاع أي إعتراف من صديقه فيلجأ إلى الشراب، وبعد فضيحة له في أحد الملاهي وحملة لاعتقال صديقة الضحية في الكلية بطريقة حمقاء يجرى أيقافه عن العمل، وينتهي به الأمر مرميا على الرصيف بعد أن صدمتهُ سيارة كانت تترصده"** [13]. رصد الروائي كل التابوهات السياسية والدينية، وكان هدفهُ من ذلك انحراف الواقع عن

(11) صالح، عالية محمود، البناء السردي في روايات إلياس خوري (عمان – أزمنة، د.ط، 2005م)، ص103.
(12) العزاوي، الروح الحية جيل الستينات في العراق، ص29؛ والعزاوي، الرائي في العتمة، ص147.
(13) العزاوي، فاضل العزاوي ، مدينة من رماد، منشورات الجمل (العراق – دار بابل، ط1، 2016م)، ص 148.

مسارهِ وإعادة صياغة الشخصيات من جديد. "وتعرض بعض المبدعين لتجربة السجن المريرة كضحية مباشرة أو يطلّع عليها من خلال آخرين تعرضوا لها، فتعرض المبدعون العراقيون لحملات شرسة من الأعتقالات والسجن والتحقيقات العنيفة والتعذيب المدّمرفكان تجسيد مثل هذه الأعمال قليل في الأدب العراقي برغم إدراكنا أن تجربة الإعتقال والسجن وما يرافقها من بطش وإذلال، من أهم مرتكزات الحياة السياسية في العراق عبر تاريخه المديد وحضاراته المختلفة وأنظمته السياسة المتنوعة" . لقد شهد العراق ظروف وازماتِ، فكان الأديب لسان حال مجتمعهِ. وعند الرجوع لثنائية الضحية والجلاد "نلحظ سلوك السجين السياسي وفق منظور واقعي إنساني لا منظور رومانسي انفعالي مُتعال، (3).ونجد ثأتير السياسة في رواية (القلعة الخامسة) من خلال تحديدها لمصائر البشر "وتقديمها لصراع بين قوتين تحاولان فرض رؤيتهما على نمط الحياة داخل الرواية، القوة الأولى تنظيم اشتراكي يساري التوجه ينشد التغيير الجذري لقيم المجتمع وسلوكياته وممارساته التي هي نتاج التفكير البرجوازي الطبقي الذي صنعته ثلة قليلة من البشر مصادرة بذلك حق الأكثرية في الاختيار، وهذا التغيير وسيلته الوحيدة الثورة الشاملة، أمّا القوة الأخرى فهي العالم الخارجي التقليدي والرجعي بحسب وصف اليساريين ذي البنية الإجتماعية الدينية المحافظة المتحكمة بأدوات الإنتاج ورأس المال"[14]من الشخصيات التي جسدت الواقع السياسي في روايات العزاوي، شخصية (حسين)الذي تكونتْ لديهِ قناعة برفضهِ الرضوخ لمبررات سلام في أن يكون لسان حال الحزب اليساري، كما هو موضح في النص في موقف من المواقف أتى مأمور المعتقل "**ولم يكن هناك أحداً في الداخل فطلب المأمور من حسين أن لايزعجهُ أحد ويدخل عليهِ، فيسأل المأمور حسين إذا كان محتجزاً في هذه الغرفة أم لا ؟ فكان جواب حسين في ذلك لقد اخترت العزلة في هذه الغرفة، لأنني لا أطيق ضجة المعتقلين، فأجابهُ المأمور، بأن المعلومات التي بلغتهُ بأنك مضرب عن الطعام؟ ضحك حسين في جوابهِ ! لماذا ينبغي لي أن يكون لي موقف سياسي مختلف عن موقفهم ؟ لاتوجد ذرة من الحقيقة في ما تقول، فأنا معهم حتى الموت. وإنني أشكرهم في الحقيقة على منحي الفرصة لأستمتع بمثل هذا الهدوء**".[(15)] سلوك الشخصيات ضمن هذا الإطار الإيديولوجي بعد هذه التغييرات التي مرتْ بها يجب أن يتغير، ربما بعض الشخصيات تستسلم لواقعها التي وضعت فيه وتكون ثابته على رأيها أمام السلطة كشخصية حسين، وشخصيات أخرى يتغير موقفها كشخصية (عزيز)الذي تغير موقفهُ بعد أن كان منفصلاً تماماً عن المجتمع والسياسية ليصبح حالهُ في النهاية مديراً للمعتقل بدل (سلام)، لاشك أنّ تأخذنا هذه النصوص إلى منعطف آخر إذ، لا تأخذ الشخصية بُعدها السياسي إن لم تملك نظرة وفكرة سياسية تعتنقها وتدافع عنها وتحاول نشرها بين أفراد

(14) هويدي، محمد عبد الحسين، أنماط الوعي ودور المكان في تكونيها دراسة في رواية القلعة الخامسة مجلة فصيلة ،ص 200،154.

(15) العزاوي، فاضل العزاوي،القلعة الخامسة ،(بيروت – لبنان - منشورات الجمل، ط1، 2000م)،ص70.

المجتمع، ومن هنا يكون لوجود الشخصية السياسية دورها الضروري في بعض الروايات، وخصوصاً تلك الروايات التي تتخذ من ثيمة العمل والنضال السياسي اطارا لمضمونها. كانتْ لحسين مآخذ ومعتقدات فحاولوا تغييره ليترك هذه المعتقدات، فلم يستطعيوا على الرغم من إدخالهِ غرفة المستنقع، فالإيمان بقضية سياسية كانت أم اجتماعية، تحتاج إلى دافع وقدرة على تغيير هذا الإيمان، فمنهم ثابت على عقيدته، وهذا ما فعلهُ (حسين)، أمّا (عزيز محمود) فاستسلم للسلطة، وتغيّر موقفهُ ليترك هذه المعتقدات بعد أن حاولوا جاهدين تغيير موقفهم منهُ، لم يستطع لذلك أستسلم للتهم التي وجهت إليه، وهذا الأستسلام من جعل منهُ مديراً للسجن؛ لأن السلطة كانت ترضخ هي أيضاً بدورها لمن يستمع إليها من دون أن يعترض.

جسّد لنا الروائي القصة الواقعية التي مرّ بها وصورها بأكمل وجه وكأنها حدثتْ للمرة الثانية، لأن االروائيين قد حدثت لهم هذه الحوادث وصادفوا هكذا شخصيات في حياتهم الواقعية. فاثبت الروائي من خلال هذه المشاهد بأن الضحية ينتهي دورها بحالة واحدة فقط وهي بعد تحولها إلى جلاد، وربما سبب هذا التحول يكون بإيهام الضحية بعقيدة هي لا تقتنع بها أو إجبارها على القيام ببعض سلوكيات لكي تُرضي السلطة، كل أساليب القمع التي تعرض لها السجناء دفعت ب (منعم) إلى التخلي عن أفكارهِ التي اعتقل من أجلها. فعلاقة الإنسان بالسلطة يتبع منظوره إلى الواقع الذي يعيشهُ، وهكذا أصبحت السياسة محوراً فكرياً في الرواية المعاصرة، لأن الإنسان كان الحيز الأكبر في الروايات عموماً، فشغلت قضاياهُ السياسية مساحات واسعة في الروايات المعاصرة.

أمّا شخصية(سلام)، الذي كان مديراً للسجن، فكان يمتلك الرهبة والهيبة في الوقت نفسه؛ فيصفهُ الروائي، **" كان الجميع ينصتون إليه برهبة واحترام " فكان** سلام يعرف كيف يجعل من المعتقلين ينفذون أوامرهُ من دون أي إعتراض فكان يتحكم في المعتقل كيفما يشاء فيقول لعزيز **" إن الإفراج عن أي واحد منا يعتبر قضية سياسية وهذا يشملك أنت ايضاً،**

. ولكنني لست سياسيا.

. لايهم ما تعتقده أنت. المهم ما يعتقدونهُ هم. لابد ان سلاما على حق لأنه يعرف حقيقة الوضع الذي نعيشه الآن " [16] . ثم يؤكد (سلام) حقيقة أخرى وهي "**لسنا وحدنا هنا، إن شعبنا كله يقف إلى جانبنا. إنه معنا في الليل والنهار، وحتى داخل غرف التعذيب "**

إنَّ الوعي السياسي الذي كان موجوداً لدى (سلام) حفزهُ على أن يتقلد هذا المنصب أي مديراً للمعتقل فمارس كل السلطات التي تحت يديهِ من تعذيب في سبيل فرض سياسته على المعتقلين تماماً كما فعل مع حسين عندما رفض الرضوخ إليه، حدث مع عزيز محمود كذلك، فأراد الروائي من خلال هذه الشخصيات الثلاثة إيصال معتقداتهِ وأفكارهِ إلى من يقرأ رواياتهِ، ومع ذكر هذه الشخصيات السياسية لدى الروائي ؛إشارة

(16) العزاوي، القلعة الخامسة، ص30.

إلى تجربتهِ الذاتية مع الأعتقال*. فأراد من ذلك تسجيل تجربتهِ الروائية من خلال ما مرّ بهِ وهو في السجن، وكذلك أن يخلق واقعاً جديداً غير الواقع الذي عاشهُ هو. فأخطر ما يواجه السجين أو الضحية في علاقته بالجلاّد. أحياناً يرضخ المعتقل ويستسلم لأمره لأنهُ قد تعب من إنتظار ظهوربراءتهِ، فكان سلام يمتلك قوة الرأي لأنهُ أستطاع إقناع العديد من السجناء على قبول واقعهم الجديد تحت راية التمثل بالحزب اليساري، فكان هذا الحزب الذي تبنى فكرة المساواة والسيادة الشعبية، وتحت هذا الشعارأنضم الشعب إلى مثل هذه الشخصيات بكثرة، ولكي ينفذ شعار حزبهِ كانت لهُ أعوان يساعدونهُ وهم الشخصيات التي سبق ذكرها مثل، عبد الكريم، وكاظم وغيرهما.

وكان هذا واضحاً عند شخصية بطل الرواية فحين دخل السجن كان ضحية من دون أي جريمة فحاول التعايش مع وضعهِ الجديد، وفي تلك المرحلة اتسمت شخصية عزيز بالحيادية التامة، ربما كان الأستسلام هو حلهُ الوحيد، والتناقض الذي حدث إن (عزيزاً) كان يعيش في مجتمع محدود العلاقات تجسد ما بين المقهى والبيت ومكان عملهِ إلى مكان أوسع ومع أناس كثيرين كل واحد منهم لهُ عاداته وسلوكهُ المختلف عن الآخر، لينتقل إلى عالم آخر،**" اؤلئك الذين عشت معهم في المعتقل. أشعر أنهم اخوتي، لأنهم موجودون في الجانب الآخر من العالم، مع الهدامين المضطربين "** [17]. وكل هذا كان عزيز يمثل لنا دور السجين الحيادي لكن مع تغيير الظروف تغيرت وظيفتهُ في السجن ليصبح .

فالقاسم المشترك ما بين (السجين والسجّان)هو الخوف والقهر، حيثُ يدفع بكليهما نحو الاغتراب أكثر عن ذاته، ليكون للعلاقة طابعاً متحوّلاً. حيثُ كل سجين هو سجّان بمعنى أن يكبّل إنسانيته، قهره، أفكاره معنى وجوده المتلون بالحرية، وإنكفائه على ذاته باغترابه عن ذاته الإنسانية، وكل سجّان هو سجين : بمعنى أنه تعامل الروائي في رواياتهِ مع تاريخ العراق على أساس الحقبات والإنقلابات التي مرّ بها، فربط العزاوي أحداث رواياتهِ بالوقائع التاريخية والسياسية التي امتدت من دخول البريطاني للعراق من 17 مارس سنة 1917 إلى الحكم الملكي وتسلم فيصل الثاني الحكم سنة 1939، إلى إنقلاب 14 تموز 1958 وانتهاء الحكم الملكي وابتداء الحكم الجمهوري، وانتهى هذا الحكم بانقلاب عكسري آخر 1963ثم في 1968، وابتداء حزب البعث لغاية 2003.[18] وفي خلال هذه المدة تكون الحزب الشيوعي العراقي، سنة 1922، [19]. أمتداداً للحزب الشيوعي الذي تكون مسبقاً على يد ماركس وإنجلز سنة 1847 وتطرق الروائي كذلك إلى القضية الكوردية، المتعلقة بتحقيق الحكم الذاتي لهم

بدأت رواية (آخر الملائكة)بذكر إشارات للوجود البريطاني في العراق، وذلك بمساعدة شخصية من شخصيات هذه الرواية وهي شخصية (حميد نايلون)، الذي طُرد من عملهِ من دون أي سبب مقنع، "**على**

(17) العزاوي، القلعة الخامسة ، ص156.
(18) حميدي، أحمد، تاريخ العراق المعاصر، ص 17- 130، 2015.
(19) المصدر نفسه: ص 153.

الرغم من أن الناس في محلة جقور اعتبروا فصله من الشركة امراً طبيعياً، فقد حاول بعض عمال الشركة ومعظم شباب المحلة تحريض الناس ضد شركة النفط، بل إن إمام محلة جقور ذكر ذلك في مجلسهِ، الذي كان ينعقد تلقائياً كل يوم في الجامع، بعد صلاة العشاء"لقد قطع الأنكليز رزق واحدمن شبان محلتنا، وهذا أمر لايقبل به الله أو نبيه "[20]، " يبدو بأن زمن كتابة هذه الرواية كان يشير إلى زمن سيطرة الأحتلال البريطاني على العراق، وقضية حقل النفط بالنسبة للبريطانيين تعدُّ قضية سياسية، لذلك كانوا يحاولون احتكارهِ هذا من جهة، ومن جهة أخرى أهالي هذه المحلة (جقور) كانوا يطمحون لتعيين أبنائهم في هذا الحقل (حقل بابا كركر)، وكأن الروائي وصف لنا مفارقة من المفارقات التي لطالما عانى منها العراقيون وهي حرمانهم من خيرات أرضهم الكثيرة.

وتناول الروائي واقعة تاريخية أخرى وهي "مجزرة گاورباغي " فوصف لنا الروائي مكاناً كان يجتمع فيهِ العمال كل يوم وطوال ساعات كثيرة من دون تعب، وكان هذا المكان بستان گاروباغي، يقول الراوي: **" في گاورباغي، وهو بستان يكاد يكون قاحلاً، لايبعد كثيراً عن مكاتب شركة النفط، ويلقون قصائد لمحمد مهدي الجواهري ومعروف الرصافي وشعراء آخرين أقل شهرة. بالطبع فإن نصف سكان مدينة كركوك كان ينتقل كل يوم إلى گاورباغي، وخاصة النساء والأطفال، ومرت الساعات الأولى من اليوم السابع عشر للإضراب مثل كل الأيام السابقة الأخرى. العمال يخطبون ويهتفون في البستان. النساء والرجال والأطفال يحيطون بالمكان متفرجين. رجال الأمن يراقبون متنقلين على دراجاتهم** إننا **نذكركم بإخلاء المكان وإنهاء الإضراب. أنكم ضحايا مؤامرة شيوعية، قبل أن ينتهي المعاون من خطبته، أرتفعت الصرخات الشاتمة داخل البستان؛ وفجأة، دوّى سيل من الرصاص المتقطع، وفي هذه اللحظات نفسها، اهتزت الأرض تحت حوافرالخيول التي بلغت البستان . . . ، واشتبك عدد من العمال مع رجال الشرطة الذين سقطوا من فوق خيولهم، وانتهت المعركة بفرار العمال المضربين، مخلّفين وارءهم ثلاثة عشر قتيلاً، بينهم طفل، أصيب برصاصة، وظل في مكانه بين فروع الشجرة التي كان يجلس عليها، وامرأتان، وبائع باقلاء مسلوقة تكوّم فوق عربته، كان عدد الجرحى الذين جرى اعتقالهم، أكثر من عشرين شخصاً،[21] . ..**

فعكس العزاوي أحداث عصرهِ في رواياتهِ، فصور تاريخ العراق من خلال ذكره لأسماء شخصيات كانت في يوم من الأيام رمزاً مهماً في تاريخ العراق، ذلك عندما ذكر الملك فيصل الثاني ؛وشاركت شخصيات الرواية في عرض هذه الوقائع، منها برهان عبد الله، وخضر موسى، **" ولقد أكتسبت جقور شرفاً كبيراً، عندما جاء الملك فيصل الثاني إلى مدينة كركوك. وكان تلاميذ المدارس قد خرجوا في شارع الأوقاف، منتظرين مليكهم الشاب، ذبح خضر موسى بنفسه خروفاً أمام السيارة "** [22] كان الناس بشكل عام يُظهرون

(1) العزاوي، فاضل العزاوي، آخر الملائكة ، (بيروت – لبنان - منشورات الجمل، د.ط، 1992م) ، 18.
(2) العزاوي، أخر الملائكة، ص 181.
[22](2)المصدر نفسه : ص 118

حبهم للملك الذي توفي وهو في مقتبل حياتهِ، وكانوا يعتقدون بأنهُ من سيغيرأقدارهم وحالهم إلى حال أفضل من الحال التي يعيشون فيها، هذه من جهة ومن جهة أخرى كان الملك الشاب بسيطاً حد التواضع، يقول الروائي : **" هتف برهان عبد الله، الذي اختير من قبل مدرسته " يعيش صاحب الجلالة، مليكنا المفدّى فيصل الثاني ". وفي المساء استقبل الملك الشاب خضر موسى وشقيقيه،** [23]

فوجدنا مثل هذا الساحر متجسداً في رواية (الأسلاف)، أيضاً **" وجد عادل سليم الأمير نفسهُ في ساحة الميدان، حيث ساحر يقدم خوارقه التي اجتذبت الناس إليه فجعلتهم يحتشدون حولهُ، وقف عادل يتفرج هو الأخر على ذلك الساحر الذي كان واحداً من سحرة كثيرين يأتون في الأغلب من الهند، فأهدى الساحر لعادل مغارة، في تلك الليلة التي نام فيها عادل سليم الأمير في مغارة النهر شعر بأمان، فتذكر شيوخه الأربعة الذين عثر عليهم في مغارات جبل شوان. . . . هل كانوا يبحثون عن حقيقة أم لا؟ مخاطباً نفسهُ : أما أنا فأريد أن أهرب من الحقيقة، أي حقيقة في هذا الزمن الذي التهم فيه البشر كل الحقائق الماضية "** [24]

وقصة (الساحر الهندي) كانتْ مقتبسة من ليلة حدوث الانقلاب العسكري وهذا ما أوضحتهُ أحد أقارب الملك فيصل الثاني في مقابلة على قناة (نقلاعن مقابلة في قناة التغيير في https://www. altaghier. tv).[25] أوضحتهُ بأن هذه الليلة كانت آخر ليلة للملك وقُدم فيها مجموعة من العروض عرض للساحر الهندي، وأراد من هذا تجسيد واقع العراق في ظل الأنتفاضات والنكبات التي حلت بهِ وجعلت من شاب مثل (عادل) والكثيرين مثلهُ في حالة من اليأس والأحباط لايتمنون أي شيء في الحياة، بدليل ذكرهِ للشيوخ الأربعة الذين رجعوا من زمن بعيد جداً، وأردوا أن يحكموا البلاد مرة ثانية، فبموت الملك وخالهِ ينتهي الحكم الملكي ليبدأ الحكم الجمهوري بقيادة (عبد الكريم قاسم) و(عبد السلام عارف) وآخرين، ليبدأ العراق عهداً جديداً وبعده استلم حزب البعث مقاليد الحكم، وكأن الروائي وضع كل هذه الأزمنة التي مرت بالعراق ورسمها ضمن أحداث واقعية حقيقية، فالتاريخ لايتكررمرتين، لكنهُ أعاد صياغة التاريخ مرة ثانية عبر سردِ لهذه الوقائع المسجلة في التاريخ، وكذلك نجد رواية (الأسلاف) وصفاً للعراق بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ذلك عبر بدء زمنها بالمستقبل ففضاء الرواية كان يدور ما بين كركوك وبغداد. ليتضمن رجوع الشيوخ الأربعة إلى أستلام الحكم أو محاولتهم لإستلام الحكمِ، وكأن الروائي في هذا المشهد كان يشاركهم يومهم ويسجل ما يقومون بهِ ليسردهُ عبر رواياتهِ للأجيال القادمة، فأدخل ذاتيتهُ المعرفية في شخوص رواياتهِ.

فاستهلم الروائي هذه الشخصيات من التاريخ والواقع في نفس الوقت، تكررت هذه الصورة من خلال الشيوخ الأربعة، وكأن الروائي من جهة أخرى قد نقد السلطة من خلال الشيوخ الأربعة **" أنت تعرف يا سيدي**

---

[23] (3)نفسه : ص 123.
(1) فاضل العزاوي، الأسلاف ، (بيروت - لبنان - منشورات الجمل، د.ط، 2017م)، ص 81.
(2) https://www. altaghier. tv

الجنرال أن معظم الشعب استشهد في حروبك المنتصرة، أما الذين نجوا فقد أكتشفنا أنهم من الخونة الذين أعدمنا الكثير منهم،

زمجر الجنرال آمراً:

.حسناً، حسناً، دبروا لي شعباً آخر لأحكمه، كيف يمكن لي أن أكون رئيساً بدون شعب!" يتجلى مما سبق من نصوص الروائية بأن هؤلاء الشيوخ الأربعة قد جسدوا حكم الدكتاتوريين الذين لم يهمهم في يوم من الأيام هموم الشعب أو مالذي يطمحون إليه، والذي كان يهمهم هو تحقيق مصالحهم وأحلامهم، أما موتهم وعودتهم مرة أخرى إلى الحياة وتسنُّمهم الحكم مرة أخرى كان دليلاً على أحداث العراق السياسية والأجتماعية ونقد هذه السياسة في نفس الوقت، فنقل لنا الروائي الحقب الزمنية في منتصف القرن العشرين، وعكسهُ على الشخصيات الموجودة في الرواية، فتعمد إلى أن تمثل هذه الشخصيات لشخصيات كانت فعلاً موجودة على أرض الواقع في تاريخ وزمان معين، وعندما أعاد الروائي صياغتها أراد من ذلك عرض صورة واضحة للحكم والسلطة القامعة، فنقل لنا الروائي هذا الواقع .بصورة خارقة للمألوف، وكان يهدف من جراء ذلك الدعوة إلى الثورة على الظلم والجور والتحرر من السلطة الظالمة، وخصوصاً ما خلفتهُ الثورة والانقلابات وسقوط الوزارات واحدة تلو الأخرى كل ذلك كان سببهُ الأيديولوجية الخاطئة التي أتبعت في العراق، وما خلفهُ الجنرالات الأربعة من دمار جراء تكرار الثورات والانقلابات التي قاموا بها في النصف الثاني من القرن العشرين، أي في أثناء الحقب الزمنية التي تعاقبوا وتبادلوا فيها على الحكم.

وأمّا فيما يتعلق بإيمان الشخصيات التي تجلت في روايات فاضل العزاوي لم تكن جميعها على إيمان وقناعة تامة بمبادئ الحزب الشيوعي، بدليل حديث حميد نايلون، يقول الروائي **" لم يكن حميد نايلون شيوعياً. وقد دفع هذا الأمر الشيوعيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم خبراء في صناعة الثورات، رغم أنهم لم يكونوا قد قاموا بأي ثورة في تاريخهم كله إلى أن يطلبوا لقاء حميد نايلون في اليوم نفسه لبحث قضية الثورة المسلحة معه، فوافق حميد أن يمثل الشيوعيين، وهو أمر لم يعلن أبداً، في الوفد الذي قصد بغداد والتقى الملك، وكان أيضاً يحضر مجلس العزاء الذي أقامه الشيوعيون في أحد جوامع قرة تبه، عند وفاة يوسف ستالين،"** [26]. أنّ هذه النصوص تؤكد على المدّة التي مربها الحزب الشيوعي في العراق وخصوصاً في الأربعينات، حيثُ أصبحت فيها الشيوعية عاملاً من عوامل الحياة في العراق، ولم تزرع نفسها في معاقل قوة مرئية فقط، بل تجاوزتها أيضاً في قلوب الشباب وعقولهم، ووجدت (الشيوعية) طريقها إلى السجون ،فتمثلت خطابات عبد الكريم قاسم أو عبد السلام عارف الذين لبسوا عباءة الشيوعية للتحقق مما قدمته الشيوعية لجيل كامل من العراقيين، في الستينات فتميزت هذه المرحلة بأن العراقيين كان ممكن لهم أن ينظروا إلى الوراء وإلى العهد الملكي بنوع من الحنين، لكن الواقع أن الأنقلابات أو التفجرات ذات الطابع

(26) فاضل العزاوي، آخر الملائكة ، 29.

الوطني أو محلي هي التي ميزت كل مرحلة العهد الملكي، وكذلك في رواية (آخر الملائكة)، **" حين عاد حميد نايلون إلى كركوك كان متأكداً من أن الثورة قد بدأت بالفعل، كانت ثمة أمور كثيرة تشغل بال حميد نايلون المهلوس بالثورة. كان يعرف القليل عن تعاليم الثورة، طلب كتباً، تتضمن تعاليم حول الثورة الفلاحية، وفي الواقع إن ما يشغل بال حميد نايلون لم يكن مرتبطاً بالشيوعيين أو بالأنصار الجدد الكثيرين، وإنما بالكنز الذي خلفهُ الملاّ زين العابدين القادري وراءه من دون أن يعثر عليه أحد"**[27]. وهنا كذلك كرر الثورة الفلاحية التي كان يقصد بها الثورة الفلاحية الأولى أشارة إلى منظر ومفكرر الشيوعية كارل ماركس للقضاء على الطبقة المسيطرة على وسائل الأنتاج. نلحظ في النصوص السابقة أن الروائي صور لنا زمناً وجد فيه الصخب والثورة البيئة الصالحة لهُ في سبيل مسخ الصفات الأنسانية وخلق مجتمعٌ يهدف إلى الثورة ولا يعي شيئاً من مبادئ الثورة، ومن ذلك المنطلق تبرز لنا واقعية من واقع الأحداث التي مرت بتاريخ العراق وهي (الواقعية الإشتراكية)، ويعد ارتباط الواقعية بالماركسية الشيوعية، واعتمادها على الطبقة المنتجة (البروليتاريا) بداية لظهور (الواقعية الاشتراكية)، فارتبطت هذه الواقعية بالدولة والحزب لإيمانهم بأن حقوقهم لاترجع الأ بقيامهم بالثورة، ليرجع السلام والعدل إلى بلادهم، وكذلك تضمنت روايتي (القلعة الخامسة) و(مدينة من رماد) مجمل الأحداث السياسية التي مرّت على العراق، وما كانت تفعلهُ السلطة القامعة بحق المواطنين الأبرياء، فواقع الشارع العراقي شهِد هذه الإنتفاضات والمنازعات المستمرة، التي أستمرت إلى يومنا هذا.

ونقل إلينا الروائي تجليات القضية الكوردية، وأورد نصوصاً تدل على تطرق الروائي للحديث على هذه القضية، فكانت رواية (آخر الملائكة)خير دليل على ذلك القومية. فالكورد كانوا موزعين بصفة عامة في العراق وتركيا وسوريا وإيران، رأى الكورد في الهزيمة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، واحتلال بريطانيا للموصل، فرصة للضغط من أجل تحقيق مطالبهم في الحكم الذاتي،[28]

في العراق أفكار ومنازع متباينة جداً، : المتعصبون، السنة، الشيعة، الكورد، العشائر، الشيوخ، فكانت البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها أهم عنصر من عناصر الحياة الأجتماعية، وذلك هو وحدة الفكرة، يحتاج ساستها أن يكونوا حكماء مدبرين، ولأن العراق ليس وحدة متجانسةً، وإنما مجموعات، ولكل مجموعة رأيها، فالكورد يُطالبون بالاستقلال الذاتي، وإقامة دولة كردية لهم في مناطقهم التي يرسمونها، .[29] فكان العراق بيتٌ لقوميات مختلفة كل قومية من هذه القوميات لها عادات وتقاليد، فنوه الروائي إلى وجود الكورد في روايتهِ أيضاً، بقوله **" بدأت محاولات خضر موسى بالهرب من البيت، فقد كانت زوجته نظيرة وتلحقه، . أمسكت به وهو باتجاه القورية. وفي المرة الثانية، أعادته من، عند حديقة أم الربيعين، باتجاه قرية شوان، وفي الثالثة لم تبلغه إلا في مدينة التون كوبري ، داقوق و راوندوز، وفي**

(27) فاضل العزاوي، آخر الملائكة ، 285.
(28) طقوش، محمد سهيل، تاريخ العراق (الحديث والمعاصر(بيروت – دار النفائس، ط1، 2015م) ، ص153
(29) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر (بيروت- المكتب الإسلامي، ط8، 1421هـ -2000م)، ص 324 .

السادسة في القرنة "[30] . إن الإشارة إلى ذكر المناطق الكوردية في هذه الرواية دليل على دور الكورد في محلة جقور بشكل خاص والمحافظات الأخرى الوارد ذكرها ضمن دولة العراق، فنرى سرد الروائي لحادثة المنطاد وصعود خضر موسى لهذا المنطاد كان يقصد من ورائه سرد قصة واقعية أخرى ، فأدى خضر موسى دوراً مهماً في توضيح دور الكورد في الدولة العراقية ومطالبتهم بحقوقهم كدولة مستقلة كباقي الدول الأخرى، فتمثل هذا الدور، في محاولتهِ لإيجاد شقيقيهِ الضائعين منذ أعوام كثيرة، يقول الروائي **" بعد أقل من عام من أختفاء خضر موسى، شاهد الناس، ذات صباح منطاداً يحلق فوق المدينة، كان أول منطاد تشهده كركوك على الأطلاق. . . . . وظل الناس يعدون من شارع إلى آخر متابعين حركة المنطاد. وأخيراً هبط المنطاد في حديقة المصلى، حيث أحتشد ألوف الناس محيطين بالمكان، وخائفين في الوقت نفسه، لكن خوفهم تلاشى عندما رأوا ثلاثة رجال يغادرون من المنطاد، إذ أقتربوا أكثر، هتف القادمون من محلة جقور، "هاهو ذا خضر لقد عاد، واضح أنه ذهب يبحث عن شقيقيهِ أحمد ومحمد، اللذين كانا مفقودين منذ أعوام طويلة، حتى عثر عليهما في الغربة وعاد بهما. "** [31] ويُوضح الروائي المغزى من وراء سردهِ لهذه القصة، **" روى خضر موسى قصته، أتجه أولاً نحو الجبال الكوردية، سائراً على قدميه حتى بلغ وادي جبل حاج عمران، وأتصل بشيخ عشيرة برزان، وبعث ومعه من يرافقه في رحلته الصعبة تلك إلى روسيا. وهكذا سلك خضر موسى، مع دليله الممر الجبلي السري نفسه، الذي كان الملاّ مصطفى البرزاني قد قطعه قبل ذلك بسنوات، أثناء انسحابه مع قواته من الفلاحين الكورد، شاقاً طريقه إلى روسيا، وسط معارك، ضارية مع القوات العراقية والإيرانية** [32]. ويستمر خضر برواية قصتهِ،**" وصل خضر موسى ودليله الحدود الروسية، حيث شاهدوا العلم الأحمر، ذا المنجل والمطرقة، يرفرف فوق الحدود السوفياتية أمر المخفر، الذي أعتاد البارزانيون تقديمها في كل مرة يعبرون فيها الحنفسها ،سار الرجلان مدة ثلاثة أيام أخرى حتى بلغا قرية المهاجرين الكورد، ذات الحكم الذاتي، حسب العادة السوفياتية، ولما صعد الغنام، القادم من العراق على عجلة من أمره، فقد صعد القطار في اليوم التالي، وصل خضر موسى إلى طاشقند، فوجد الناس يتكلمون لغة محلة جقور نفسها**، الروائي سرد هذه القصة، **" مرت شهور عدة على خضر موسى في غربته، وهو ينتظر كل يوم خبراً، ينقله مدير الشرطة إليه. . . وفجاءة، عند الظهر دخل المفتي ومعه مدير الشرطة إلى الجامع، يتبعهما رجلان عجوزان، فنهض خضر موسى لأستقبالهم محيياً، فقال المفتي التركماني : " لقد جئناك بشقيقيك، فماذا تريد أكثر من ذلك ؟. .، لكنهما لم يفقدا الأمل في العودة ذات يوم إلى محلة جقور، "** [33]

(30) العزاوي، آخر الملائكة، ص 101.
(31) العزاوي،آخر الملائكة، ص 110.
(32) المصدر نفسه : ص 112
(3) العزاوي، ص115

تداخل الموقف الإنساني مع السياسي من خلال محاولة الروائي الوصول إلى أولاد عمه وهذا ما أشار إليه الروائي فكان السرد المروي لهذه القصة الحقيقية خير معين للروائي ليدخل معها القضية الكوردية، الذي حاول من خلال رواية (آخر الملائكة)أن يقدم إحالات تدل على هذه القضية، وأنّ بداية القضية الكوردية بدأت في عام 1923 في الإجتماع الذي أنعقد في السليمانية وعندما تقرر بإن الحكومة لاتنوى تعيين أي موظف عربي في الأقضية الكوردية عدا المواطنين الفنيين، وإن الحكومة لا تجبرسكان المناطق الكوردية على استعمال اللغة العربية في مراجعاتهم، ستعود إلى العراق، لذلك تشكلت جملة من الأنقلابات.[34] وكأن خضر موسى مثل لنا بالمختصر القضية الكردية التي طالما بحثت عن استقلالها كدولة لها حكمها الذاتي ومطالبها، فجسد خضر موسى دور الملاّ مصطفى البرزاني حين ذهب إلى الاتحاد السوفياتي، وهناك رجع معهُ شقيقهُ أحمد، فكانما التاريخ يُعيد نفسهُ مرة أخرى فخضر موسى ذهب على المنطاد بمساعدة من الملاّ البرزاني لإسترجاع شقيقيهِ وفعلاً قام باسترجاعهم. وكأن الروائي سجل ذاتهُ في نصوص روايتهِ (آخر الملائكة) فيقول فيها، حميد نايلون وخضر موسى وقدرية والأسيرين المفقودين العائدين داخل المنطاد من روسيا هم من أقاربي حقاً[35] **" أن المخابرات السوفيتيه، التي افتعلت هذه العملية، كانت لاترى بأساً في أن يعود الرجال الثلاثة إلى بلادهم، ولكن ما يهمها أكثر من ذلك، هو تحديد مواقع القواعد العسكرية التي كان حلف بغداد قد بدأ بإنشائها، وما إذا كانت تحتوي على أية أسلحة نووية، وهكذا ملأوا المنطاد بغاز خاص، كان لايزال يعتبر أحد أسرارهم العسكرية،"**. فرفع الشاب الكردي يده قائلاً :**" انظر أنني أعرف الأكراد جيداً. لم يحن الوقت بعد للقيام بثورة كردية. أنت تعرف أن الجنرال الملاّ البرزاني قد قصد الاتحاد السوفياتي منذ أعوام طويلة للتدريب على تكتيك حرب العصابات، الأكراد ينتظرونه ولن يقبلوا بثورة لايقودها هو بنفسه، احتد حميد نايلون الذي أستغرب هذا المنطق الغريب، لم يخطر بذهني في يوم من الأيام القيام بثورة كردية ، هز الشاب الكردي رأسهُ مستنكراً: هذه خيالات. لا يمكن للثورة إلا أن تكون كردية، وهذا يعني كسب الشيوخ العشائر الكردية والحزب البارتي إلى جانبنا، فقال حميد نايلون لا أعتقد أن العرب والتركمان أقل وطنية من الأكراد. كل ما يحتاجه العراق الآن هو وجود من يطلق رصاصة الثورة الأولى)**.[36] وكانما تطرق الروائي إلى علاقة الحزب الديمقراطي بعبد الكريم قاسم وكيف ساندت هذه الحركة الضباط الأحرار من أجل إسقاط هذا الحكم الملكي، وتوضح فيما بعد إن موقف عبد الكريم قاسم كان إيجابياً، لكن سرعان ما تبدل رايهُ فيما بعد إلى الأنقلاب ضدهم.

ثانياً : السجن كتمثيل سياسي:

(1) شاكر، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر، ص 82.
(2) العزاوي، ص149.
(3)) العزاوي ،آخر الملائكة، ص 240.

وكان السجن من أهم التجارب التي تعرض لها العزاوي في روايتي (القلعة الخامسة) و(مدينة من رماد) ؛لأن السجن كان المكان الذي تفرض فيهِ العقوبات على الأشخاص الذين يرتكبون الجرائم، فتُسلب من الشخص حريتهُ ؛لأنك يوضع في مكان تحدد له بعض القوانين الصارمة وتضع له عقوبات على وفق هذه القوانين. تدور أحداث رواية (القلعة الخامسة)عن قضايا أدب السجون وطريقة العيش في المعتقلات العراقية، فمثل هذه الرواية أول رواية عراقية تتطرق إلى حياة السجناء العراقيين، فبدايات بعض المعتقلين عندما يدخلون السجن غير واضحة، تحمل تأويلات عديدة، مملؤة بالآلم والرتابة وهذا ما تصفه الشخصية الروائية (عزيز) في هذا المشهد: **" كان الليل يملأ المعتقل. انسحبت من مقهى المعتقل ضجرا متجهآ الى فراشي في الغرفة السوداء الواسعة جوار المطبخ. كان ثمة معتقلان يلعبان الشطرنج وآخر متكئ على الجدار، فكرت أن أفضل مايمكن أن أقوم بهِ في هذا الليل الجديد الذي قد يتكرر كثيراً هو أن أراقب هؤلاء الذين أرغمت على مصادقتهم "** ،[37] إن السجن بوصفهِ عالماً مفارقاً للحرية ومكاناً معادياً للشخصية إذ تتمظهر في تكوينه الإجبار على المكوث فيه، وتمثل الأقفال عاملاً تحجب به السجين عن العالم الرحب وتكون الحد الفاصل ما بين الداخل والخارج :الداخل بألفته، والداخل بالعداء والكره [38]

فأوضح الروائي من خلال هذا المشهد، كيف بدأ يتعايش مع وضعهِ الجديد، ويكونّ صداقات شبيهة تماماً، بالصداقات التي كونها سابقاً وهو خارج المعتقل، فالبداية كانت صعبة عليهِ لكنهُ بدأ يتأقلم مع وضعهِ الحالي، فنلحظ بان (عزيز) بعد دخولهِ للسجن قد تغير موقفهُ من حياتهِ السابقة التي عاشها تغييراً جذرياً، فتحول السجن بالنسبة لهُ إلى مكان للتعارف على العديد من الأشخاص.

وعند التعمق أكثر في شخصية (عزيز) يبدو بأنه لم يكن يدرك حقيقة ما يعيشهُ وهو في السجن، "**احتجت إلى شهور طويلة حتى أدرك أنني معتقل. فقد انتهت أحلامي فجأة وأستيقظت بعد غفوة طويلة لأكتشف بكل قسوة ومرارة أن العدالة قد لاتكون إلى جانب البراءة ؛بل تتعمد أحيانا أن تكون إلى الجانب الآخر**[39] ، فمثلتْ لحظة الاصطدام القدري بالسلطة إلى دخولهِ في عالم لم يعرف عنهُ شيئاً، فتحرك ضمن إطار اجتماعي لم نجد لهُ أي انتماء إلى السلطة أو إلى السياسة، واثبت هذا الشيء من خلال حديثهِ. **" لست جندياً في هذه الحرب التي لم أفكر فيها ابداً. لطالما خيل الي أن الناس يختلقون مثل هذه الحروب أما أنا فقد اعتدت أن أقول لنفسي: إن الجميع على صواب، لابد أن لهم أسبابهم التي تدفعهم لشن هذه الحروب. . هذا صحيح بشكل ما. إن للجميع اسبابهم، ولكن ينبغي أن نفهم هذه الأسباب"**[40]، ولطالما عاشت هذه الشخصية، ولها مبدأ في حياتها في أن تكون بعيدة عن كل التزام واجب القيام بهِ بمختلف أنواعه، ومع بعد

(1) العزاوي،القلعة الخامسة ،،ص23 .
(2) سعدون، نبهان حسون، شعرية المكان في القصة القصيرة جداً (قراءة تحليلية في المجموعات القصصية، (1989-2008 م)، ص 103،2012.
(3) العزاوي، القلعة الخامسة، ص41
(4)المصدر نفسه :ص43.

(عزيز) عن المجتمع قيد نفسهُ بإلتزامِ آخر وهو فكرة الخوف من الوقوع في المصاعب، فالخوف الفطري هو أمر وارد عند الإنسان، خصوصاً بأنهُ دخل في عالم لاينتمي إليهِ، فكان هذا الشعور بالوحدة يزداد لديهِ يوماً بعد يوم وإن كان السجن فيهِ كل هؤلاء السجناء، فكان يهرب من هذا الواقع الذي أجبر على العيش فيهِ إلى عالم آخر، كان سعيداً فيهِ وهو عالم الصبا والطفولة وعندما كان طفلاً، فاسترجع هذا العالم في مخيلتهِ لعلهُ ينسى المكان القهري الذي أجبر على العيش فيه فيقول، " **عندما كنت في الثامنة او التاسعة من عمري كان أطفال محلتنا أمام باب منزل أحد الأثرياء ويختارون قائدا للجيش وعلما. كنت دائما واحدا من الجنود أقف وأنصت إلى قائدنا الذي كان يأمرنا بأن نكتسح قواعد أطفال المحلات المجاورة. وكانت أسلحتنا هي الحجارة والعصي**".[41]

ومع رفضهِ لواقعه الجديد الذي فُرض عليهِ أن يعيش هذه الحياة وهو في السجن، حنّ (عزيز) إلى طفولتهِ التي عاشها بكل تفاصيلها، وفي الوقت نفسه كان ينتقد المجتمع الذي يعيش فيه ؛بما إن السجن قد أصبح عالمهُ الجديد، فيندرج هذا النقد لمجتمعهِ لنوع من أنواع الواقعية وهي (الواقعية النقدية)، وهي" أن يقوم الأديب بانتقاد قضايا المجتمع ومعاناته ومرضه وآلامه ". فتسعى الواقعية على "التقاط أحداثها من واقع حياة الفقراء والمهمشين والمظلومين تساندهم وتعبر عن قضاياهم وعن رفضهم لذلك الواقع فتلجأ إلى نقد المجتمع، والواقع". ويشير إلى ذلك في مشهد آخرويقول:" **ها أنذا مبهور مرة أخرى، أنظر إلى هؤلاء الذين يهاجمون بعضهم. كان على أن انتمى إلى جيش ما، فاخترت أن أكون مع جيش المنتصرين، رأيت رجلين ينقلان جهاز تلفزيون، وهما يهتفان باسم الجماهير. كانت قد علقت في الجهة الأخرى جثتان عاريتان على عمود كهرباء، يدور حوله الناس راقصين وفرحين**".[42] فأظهر كل هذه الأنتقادات التي كانت موجودة في داخلهِ فاختلط الجانب الداخلي مع الخارجي في شخصيتهِ، فكانت الأمور السلبية لديهِ أكثر من الأمور الأيجابية.

و" استخدم الوعي النقدي المشخص من دون أن يرسم بديلاً مستقبلياً لما حاول أن يطرحه، كما حاول ان يطرح هموم المرحلة من جوانبها السلبية والايجابية مؤملاً من وراء ذلك تكوين صورة حقيقية، أو هي أقرب إلى الحقيقة، إنّ رواية (القلعة الخامسة) واحدة من الأعمال التي شخصت الملابسات التي اتسمت بها تلك المدة "

أمّا السبب الذي دخل (عزيز) من ورائه السجن، لم يكن موجوداً من البداية، فكل ما أصاب بطل الرواية كان محاولةً لإرضاء نفسه وغريزته، " **كنت أجلس في مقدمة المقهى، فقد جئت من كركوك الى بغداد لقضاء إجازتي بعد سنة شاقة من العمل، كنت أفكر في الحصول على عاهرة تقبل أن تأخذني معها الى البيت، بيد**

(41) العزاوي،القلعة الخامسة، ص138 .
(42)المصدر السابق: ص 140.

أن هذه الليلة ظلت حلماً في الرأس. كان يوسف، وهو مقهى "مدينة الليل " يغص بالقوادين. لا تسأل أحدا إجلس فقط واطلب شاياً، جلست هناك لأكثر من ساعتين، بدون أن يتقدم مني أحد، كنت في الحقيقة مستعداً أن أجلس ساعات أخرى لأحصل على امرأة تضيء في قلبي المعذب ظلام سنة كاملة من العمل، فجأة رأيت نفسي محاصرا بالشرطة الذين أحاطوا برواد المقهى[43] في هذا المشهد استذكر (عزيز محمود)السبب الذي أدخله السجن، بما أن الواقعية تهتم، بعرض الحياة بمختلف تناقضاتها، فبينما (عزيزمحمود سعيد) وهو جالس في المقهى ينتظر امرأة جميلة يقضي معها ليلتهُ بفرح عارم، فإذا بهِ ومن دون سابق إنذاريجد نفسهُ في المعتقل ليقضي ليلة حزينة معتمة مرعبة وبدلاً من الحياة المنعزلة عن العالم، وعن أي فكر سياسي أو اجتماعي، وجد نفسهُ أمام تهمة إنتمائه للحزب اليساري ومُورس في حقهِ ابشع وسائل التعذيب جبراً له على الاعتراف بإنتمائه لهذا التنظيم، ولكنهُ اصر على رفض هذه التهمة وهذا الانتماء، ومقاومة السلطة القمعية، فينقل الروائي صوراً غير إنسانية للمجتمع العراقي والحال التي آلت إليه المعتقلات العراقية، عن طريق تجسيده للشخصيات المختلفة التي كانت موجودة في السجن، والتي اصبح بعضها ضحية لسلطة فوضوية، البريء لديها مجرم).فنجد هذا التناقض لدى شخصية (عزيز) واضحاً، فدافعهُ الذي دخل بهِ السجن كان مجهولاً في البداية، وهذا ما أوضحهُ الروائي في هذا النص، **" أشعر بطريقة ما بالزهو حتى إذا لم أكن قد ارتكبت مايبرر أعتقالي، وكان ثمة مارة آخرون يبتسمون ويتهامسون فيما بينهم. لا أدري ما الذي كانوا يقولونه عني، إنه لأمر صعب حقاً أن يتذكر المرء تفاصيل شيء ما يعرفه جيدا، أو هذا ما يمكن أن أقوله عن نفسي على الأقل فأنا أعرف الأشياء وأكتفي بذلك. ولكن إذا ما سئلت عن لون عيني أمي فلن أكون قادرا على الاجابة "**[44] فتجلّت ثنائية (الضحية والجلاد) من خلال سرد قصة عزيز في سجنهِ، فأراد الروائي من خلال تمثل عزيز كضحية عرض جانب من جوانب حياة المعتقلين وعذابهم في السجون وتعذبيهم، والذي لم يكن لهُ سبب مقنع، " **كنت أسمع صراخ هم وأنا أتلوى تحت ضرباتهم الهستيرية، رفعت كفي ووضعتهما فوق أذني، وبمرفقي حاولت حماية وجهي، ملتما على نفسي. لم أكن أعرف كيف أتقي ضرباتهم فانتابني هوس أن استسلم أكثر فأكثر للألم، بدون أن أتوقف لحظة واحدة عن التفكير** "[45] (ودليل آخر على خضوعهِ لواقعه الذي اجبر على العيش فيه، بقولهِ **" مرت شهور على بدون أن يطلق سراحي، فقد تعودت على الحياة هنا بطريقة أنستني صور الحياة الأخرى في الشوارع، ربما بفعل من قناعتي الجديدة: لا يهم أن يكون المرء مدانا حتى يوضع في السجن. كل ما في الأمر هو انه قد يخل السجن بطريقة ما، وعليه عند ذلك أن يقتنع بمصيره الذي قدر له، ومع ذلك لم أفقد الشعور بان العالم الخارجي يمتلك هو الآخر**

(43)المصدر نفسه : ص 21.
(44) العزاوي، القلعة الخامسة :ص 7
(45) نفسه :ص 108

مغرياته الخاصة به "[46] إنّ استسلامهِ لم يفقده الأمل في أن هناك حياة أجمل من الحياة التي يعيشها، وتمثيل دور الضحية لم يكن بالأمرالسهل وخصوصاً عندما تقع ضحية لأمور لم يفعلها في حياته. وأحيانا يحصل تبادلاً للإدوار، وتتحول الضحية نفسها إلى جلاد باسم المبادئ، حتى وهي في موقع الضحية، فرض سلام سلطة الجلاد على شخصية (يوسف)، وهو سجين في المعتقل، وأهانهُ بكلمات جارحة أمام كل المعتقلين؛ لأن سلام نفسهُ كان معتقلاً كسائر المعتقلين، ولكي يحافظ على دورهِ كجلاد مارس هذه السياسية على مجمل المعتقلين، فصرح يوسف بذلك إذ يقول الراوي" **أن سلاما أراد أن يهينني بسبب الرأي الذي ابديته في المحكمة. كل ما في الأمر هو انني أردت أن أكون متسقا مع نفسي وأفكاري. لقد سألني الحاكم عما إذا كنت أؤيد جرائم القتل كأسلوب سياسي غير أنني بدل أن أردد الصيغة التي فرضتها القيادة علينا "لا رأي لي في الموضوع ولا أعرف شيئا عنه " أوضحت أنني لست مع الجريمة وأن كل جريمة مهما كانت مبرراتها يجب أن تدان ".**[47] وجدنا الروائي يُؤكد على (فكرة تبادل الأدوار)، " يمكن للجلاد أن يتحول بسهولة إلى ضحية، بل أنهما كانا يتبادلان الأدوار مع كل إنقلاب في الوضع، ففكرة الضحية والجلاد تقوم على الايمان بالحق، لاتصبح الضحية ضحية إلا لاعتقادها بان دمها يسكب من أجل الحقيقة، ولايصبح الجلاد جلاداً الأ لإيمانهِ بان سياطه تقود البغال التي تجر عربة التاريخ." كان استسلامهِ نتيجة يقينية بأن لا فائدة من حرب بين الضحية والجلاد، مادامت المعركة خاسرة بينهما فصورت شخصية (سلام) صورة الجلاد القامع الذي كان يتبع كل أنواع التعذيب بحق المعتقلين الموجودين في السجن،

ومن الصور الكوميدية أيضاً . شخصية المعاون (قاسم حسين) في (مدينة من رماد)التي جسدت دور الجلاد الظالم المستبد الذي ألغى الإنسانية من عقلهِ وقلبهِ مستمتعاً ومتلذذاً بالقوة التي يمنحها له منصبه والمهابة والقوة التي يتمتع بها، لأنهُ مرعب حقاً، فبرز المعاون كشخصية رئيسة جرت عليه مجريات الرواية، فالتزم بتعليمات السلطة القامعة، ومارس كل أنواع القسوة مع المعتقلين في السجن فوضح الروائي، هنا النرجسية التي يتمتع بها المعاون، يقول الروائي: **" قاسم حسين كان معاون في مديرية الأمن العامة في بغداد"** وكان والده **" يحلم مثل كل الآباء الآخرين أن يجعل منهُ رجلاً مهماً، وكان هذا يعني في نظره أن يدخل كلية الحقوق كان أمراً، يكاد يكون مستحيلاً، بدون وساطة كبيرة. ثم خطر لوالده أن يقصد نعمان قادر مدير شرطة كركوك الذي كان يكوي ملابسه عنده. لكن مدير الشرطة بدل أن يرسل قاسم حسين إلى كلية الحقوق أرسله إلى كلية الشرطة "**[48]. ويستمر الروائي بوصف هذه الشخصية القاسية،**" كان ثمة شاب، نسيت حتى اسمه، يقف أمامي مرتبكاً، خائفاً مثل فأر، وفجأة رأيت يدي ترتفع بآلية وتلطمه، فانبجس الدم من أنفه فلطخ باطن كفي. وامتلأت غضبا فضربته أكثر فأكثر! .إنني كنت مع كل صفعة انما أهدم آخر حجارة في الحاجز الآخير. . . . ،**

(46) نفسه : ص 145
(47) نفسه : ص 46.
(48)العزاوي، فاضل العزاوي، مدينة من رماد،(بيروت- منشورات الجمل، 1989م)، ص5.

ويلغي حدود الأنسانية التي كانت لديهِ قبل دخولهِ لهذا العمل، وكان ذلك العمل القبيح يتناسب مع السلطة التي كان يعمل من أجلها، فيقول، أتراني قد تغيرت كثيراً ؟ ثم فكر" أنها المهنة ". . . "عالم بدون شرطة! من يمكن حتى أن يتصور ذلك ؟ فهو لا يدافع عن نظام معين بذاته وانما يقف ضد الفوضى، فاذا ما اختفى الشرطي فان العالم سيمتلىء بالجرائم يجب أن لا ننسى إنهم كانوا " مدربين لافتراس اقرب الناس إليهم !"[49]

كانت شخصية المعاون مناسبة جداً لتأخذ دور الجلاد المتسلط الذي يأخذ الأوامر من السلطة المستبدة، فكانت هذه بداية بروز شخصية المعاون، فحمّل الروائي كل الصفات المستحبة من قبل السلطة القامعة في شخصية قاسم حسين، وربما أعاد صياغتها، لأنهُ كان شبيهاً بكثيرين، اختاروا الطاعة الأبدية لهذه السلطة، فالجلاد لايجب أن تكون لهُ مشاعر تجاه الأخرين، عليه أن يكون قاسياً من جميع النواحي، وهذا ما حدث مع المعاون إلى أن جاء الوقت والتقى صديقه (جليل محمود).

ويتضح من خلال هذه النصوص أن الإنسان في ظروف معينة من الممكن أن يعيش في مكانين متضادين "المكان الاليف"، أي المكان الذي لا يترك أثرا لايمحي في ساكنه . مثل مكان الطفولة الأولى أو مكان الصبا او الشباب، ويقابل هذا المكان، مكان مضاد هو"المكان المعادي" وهو المكان الذي يرغم المرء على الحياة فيهِ كالسجن، والمنفى أو يشكل خطرا على حياة الفرد، كالاماكن المفتوحة في أوقات الحرب والمعارك هنا تحول السجن من المكان معادي إلى المكان الأليف، وعلى الرغم أنَّ هذا المكان ثابت ولكن تغيرت مشاعر شخصية (عزيز محمود) من الكراهية لكل شيء في السجن إلى الحب، وأصبح السجن رمزاً نبيلاً، عبر عن الحب الصادق، فنجح الروائي في رصد روافد الحب في مكان لا ينشأ فيهِ الحب. اول الروائي أن يعكس الواقع، عبر تجليات المخيلة الجمعية الشرقية، حيث حول حيّاً صغيراً مهملاً في كركوك إلى مركزٍ للعالم كله، بل الكون بأجمعه. لم يكن همّي على الإطلاق عكس التوليفة الاجتماعية لمدينة كركوك ولا النبش في الإرث الشعبي، وإنما خلق أسطورة الحياة ذاتها، من خلال مزج الواقع بالحلم، والجزء بالشمولية الكونية. من خلال هذا التصريح، يتضح أن الروائي لم يكن معنياً بتوثيق الواقع المحلي كما هو، بل انشغل بصياغة عالمٍ تخييلي يتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ، ينطلق من التفاصيل الصغيرة ليُحلّق نحو الكونية. لم يكن هدفه نقل الواقع العراقي بحدوده السياسية والاجتماعية فقط، بل تحويل هذا الواقع إلى مادة سردية قادرة على ملامسة الوجود الإنساني برمّته. هذا النهج السردي يظهر بوضوح في عدد من رواياته، مثل *آخر الملائكة* و*مدينة من رماد* و*القلعة الخامسة* .فقد ساعده انغماسه العميق في البيئة العراقية، بكل ما تحمله من تمزقات سياسية واجتماعية، على صياغة واقع فني مزدوج: واقع مألوف يلتقي بحلم رمزي، وتفاصيل محلية تنفتح على أفق كوني. ففي رواية مدينة من رماد تتجلى مأساة الحرب وانعكاساتها على الوجود الإنساني في العراق. يعيش القارئ هنا وسط عالم محطم، تنهار فيه القيم وتتحول الحياة إلى رماد، إلا أن الكاتب لا يكتفي بوصف

(49) العزاوي، مدينة من رماد، ص 20.

الانهيار، بل يستخدم أدواته الأدبية لتحويل هذا الدمار إلى تجربة إنسانية وجودية، تمزج بين الواقعي والمتخيل، لتُظهر أن الخراب ليس معزولًا عن مجرى التاريخ العالمي، بل هو امتداد له. فنجد صورة أخرى للمعاناة، أمّا في رواية القلعة الخامسة فاتسمت في القمع السياسي والاعتقال والتنكيل بالذات البشرية . القلعة هنا ليست مجرد سجن، بل رمز للسلطة الجائرة، ولصراع الإنسان مع آلة العنف التي تسلبه حريته وكرامته. ومع ذلك، فإن الرواية لا تُقدّم خطاباً مباشراً، بل تبني عالمها من خلال الرمز والتكثيف الفني، لتخلق تمازجاً بين الواقع والأدب .

الخاتمة

- اعتمد الروائي في سرده للأحداث على المراحل الزمنية التي مرّ بها الشعب العراقي بما أنّ الرواية العراقية كانت مرآة للواقع العراقي، فعكست تجربة الكاتب تجربة شعب مثل فيه الروائي تاريخ العراق من خلال تجسيده لشخصيات من الزمن الماضي، فاصبحت هذه الشخصيات رموزاً في المجتمع وتمثل ذلك شخصيات معروفة القدر في كركوك، فحاول بذلك تقديم رؤية كلية بين الماضي والحاضر، واحالة مشاكل الحاضر إلى الماضي، فتداخلت بذلك الواقعية التاريخية مع السياسية، فروى لنا العزاوي واقعية تاريخية بحتة، وعلى الرغم من أن الزمن فيها كان متخيل في بعض الروايات، ألاّ أن هذه الشخصيات امتكلت القدرة على التأقلم مع الأحداث بشكل عجائبي وغرائبي قليلاً، أو بشكل حقيقي وواقعي كأن هذه الشخصيات موجودة فعلاً على أرض الواقع.
- افساح المجال للشخصيات في امتلاكها الحرية الكاملة في توجهاتها إلى الناحية السياسية، فكان الروائي في ذلك عالماً بكل خفايا شخصياته التي صنعها، فأتى السرد ممزوجاً بشخصيته المستقلة وبذاته وبالحيادية في طرح موضوعات رواياته، وتسليط الضوء على مايراه مناسباً .
- شكلت صورة الواقعية في روايات فاضل العزاوي، بجعل الواقع المتخيل جزءاً من الواقع، فصورواقعه المعاش في صورة بانورامية رائعة، كما هو معروف بان الواقعية هي المعالجة الموضوعية للواقع من دون تدخل الكاتب، لكن الواقعية لدى العزاوي اختلفت فمثل فيها الشخصية المحورية الأساسية المؤثرة والمتأثرة، فمن غير الممكن الفصل بين الروائي ورواياته، وذلك بالاستعانة بالتخييل وما يندرج تحت هذا الوصف.
- كون الروائي لنفسه عالماً خاصاً، فسجل فيهِ وجود بعض الجدليات التي كانت بالنسبة له بمثابة المفارقة كتصويره لجدلية العلاقة بين الإنسان مع المكان الذي يعيش فيهِ، فكانت صورة المكان عالمهُ الخارجي، وعقلهِ الباطن وشخصيته المخفية عالمه الداخلي، فكان في صراع دائم لإرضائهما ومحاولة التوفيق بينهما، وكذلك في معالجتهِ لجدلية الفقر والعفاريت ، ومحاولته لكشف الجهل الذي يعيش فيه الناس، وكذلك إيجاد أجوبة لإسئلة كانت تدور في بالهِ دائماً، ولم يجد لها تفسيراً مقنعاً، معالجته لجدلية الضحية

والجلاد التي لطالما شغلت باله، فأصابته الحيرة في تبديل الأدوار فيما بينهما، فالمجرم كيف يمكن له أن يتحول إلى شخصية برئية لا تمتلك حق الدفاع عن نفسها، وتبقى الشخصية البرئية مستسلمة لا ترغب بالدفاع عن حقوقها.

قائمة المصادر والمراجع

العزاوي، فاضل .*القلعة الخامسة* .ط 1. منشورات الجمل، كولونيا – ألمانيا، 2000م.

العزاوي، فاضل .*الأسلاف* .ط 2. منشورات الجمل، بيروت – بغداد، 2017م..

العزاوي، فاضل .*مدينة من رماد* .ط 1. دار بابل، سوريا، 1989م..

العزاوي، فاضل .*آخر الملائكة* .ط 1. منشورات الجمل، بغداد، 1992م

ابن فارس، أبو الحسين بن زكريا .*معجم مقاييس اللغة* .ط 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م.

بطاطو، حنا .*العراق (الحزب الشيوعي)*، الكتاب الثاني. ترجمة: عفيف الرزاز. بيروت: د.ن، 1992م

ثامر، فاضل .*المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي* .ط 1. بغداد: دار المدى، 2004م.

ثامر، فاضل .*رهانات شعراء الحداثة* .ط 1. العراق: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتّاب، 2019م.

حسن، حسين سرمك .*من أدب السجون العراقي* .ط 1. بغداد: د.ن، 2019م.

الحمداني، سالم أحمد .*مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث* .د.ط. د.ن، 1989م.

العزاوي، فاضل .*الرائي في العتمة* .ط 1. بيروت: منشورات الجمل، 2016م.

العزاوي، عباس محمد .*موسوعة العشائر العراقية* .د.ط. د.ت. مكتبة الشاملة.

وادي، الرواية السياسية ،د.ط. القاهرة ،2002م.

أحلام، آمال .*الواقعية الاجتماعية في الرواية المغاربية المعاصرة: "محاولة عيش" لمحمد زفزاف أنموذجًا* . د.ن، 2020م.

أسود، نوزاد أحمد .*المدينة في قصص جليل القيسي: قراءة سايكو-سوسيولوجية* .رسالة ماجستير، كلية اللغات، جامعة السليمانية، 2008م..

الهويدي، محمد عبد الحسين .*أنماط الوعي ودور المكان في تكوينها: دراسة في رواية "القلعة الخامسة"* . د.ن، 2007م

منصوري ، علي منصوري ، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة ، أطروحة دكتوراه ، د.ن. 2008م.

References

Al-Azzawi, Fadhil. *The Fifth Fortress*. 1st ed. Al-Jamal Publications, Cologne – Germany, 2000.

Al-Azzawi, Fadhil. *The Ancestors*. 2nd ed. Al-Jamal Publications, Beirut – Baghdad, 2017.

Al-Azzawi, Fadhil. *A City of Ashes*. 1st ed. Babel Publishing House, Syria, 1989.

Al-Azzawi, Fadhil. *The Last of the Angels*. 1st ed. Al-Jamal Publications, Baghdad, 1992.

Ibn Faris, Abu Al-Husayn Ibn Zakariya. *Dictionary of Language Measures*. 1st ed. Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, 2001.

Batatu, Hanna. *Iraq (The Communist Party)*, Vol. 2. Translated by Afeef Al-Razzaz. Beirut: n.p., 1992.

Thamer, Fadhil. *The Repressed and the Unspoken in Arabic Narrative*. 1st ed. Baghdad: Al-Mada Publishing, 2004.

Thamer, Fadhil. *The Stakes of Modernist Poets*. 1st ed. Iraq: Publications of the General Union of Writers and Authors, 2019.

Hassan, Hussein Sarmak. *From Iraqi Prison Literature*. 1st ed. Baghdad: n.p., 2019.

Al-Hamdani, Salem Ahmad. *Schools of Western Literature and Their Manifestations in Modern Arabic Literature*. n.ed. n.p., 1989.

Al-Azzawi, Fadhil. *The Seer in the Darkness*. 1st ed. Beirut: Al-Jamal Publications, 2016.

Al-Azzawi, Abbas Muhammad. *Encyclopedia of Iraqi Tribes*. n.ed. n.d. Al-Shamela Library.

Wadi, Taha. *The Political Novel*. n.ed. Cairo: n.p., 2002.

Academic Theses: **Ahlam, Amal.** *Social Realism in the Contemporary Maghreb Novel: "An Attempt to Live" by Mohammed Zafzaf as a Model*. Academic thesis, n.p., 2020.

Aswad, Nwzad Ahmed. *The City in the Stories of Jaleel Al-Qaisi: A Psycho-Sociological Reading*. Master's thesis, College of Languages, University of Sulaymaniyah, 2008.

Al-Huwaidi, Mohammed Abdul-Hussein. *Patterns of Consciousness and the Role of Place in Their Formation: A Study of the Novel "The Fifth Fortress"*. Academic thesis, n.p., 2007.

Mansouri, Ali Mansouri. *The Political Prisoner as a Hero in the Contemporary Arabic Novel*. Ph.D. dissertation, n.p., 2008.

Etik Beyan / Ethical Statement

Bu çalışmanın hazırlanma sürecinde bilimsel ve etik ilkelere uyulduğu ve yararlanılan tüm çalışmaların kaynakçada belirtildiği beyan olunur.

It is declared that scientific and ethical principles have been followed while carrying out and writing this study and that all the sources used have been properly cited.

Yazar(lar) / Author(s)

Saad Hafiz Mahmoud

Ibtisam Hamoud Mohammed

Finansman / Funding

Yazar bu araştırmayı desteklemek için herhangi bir dış fon almadığını kabul eder.

The author acknowledges that received not external funding support of this research.

Çıkar Çatışması / Competing Interests

Yazar, çıkar çatışması olmadığını beyan ederler.

The author declares that he have no competing interests.